جمع فعال المضموم ليس بنادر

قيَّدنا سيبويه ومن جاء بعده بقيود لم يعرفها العرب !

العرب عاشوا في البوادي والفلوات لايحصرهم بناء ولا يقيدهم أدم ، فنشأت اخلاقهم حرة ، بعيدة عن كل ضيق اوجور اوأمر ، وعلى هذا المثال جاءت قواعد لغتهم فهي لاتعرف الضنك والضغط ، بخلاف الاعاجم ولاسيما الفرس منهم ، فانهم نشأوا في بيوت مبنية بالصخر والحجر ، وقد أذلهم ملوكهم منذ عهد عريق في القدم ، فألفوا القيد والتقييد منذ نعومة أظفارهم ، ولذا جاءت افكارهم ولغتهم ومفرداتهم مربوطة بهذه الرُبُط المعينة .

جاء سيبويه وفي نفسه هذه النزعات من حب الطوق والغل ، فقيد اللغة العربية بما كان قد نشأ عليه من ذلك الميل ، فوضع للغة الضادية تلك الضوابط التي حجر بها على اللغة من الانبساط والاتساع فحجَّرها في مكانها وأخمد أنفاسها .

ولهذا يجدر بابناء العصر ان لا يعتمدوا على كل ما خطته يده من القواعد الا من بعد ان يتثبتوا صحة كلامه من مواطن اللغة المبينة .

ومن جملة مانطق به هذا الامام واندفع وراءه النحاة واللغويون قولهم لم يرد من الجموع على فعال (كغراب) الا ألفاظ ثمانية ذكرها الزبيدي في تاجه في مادة رخل ، اذ يقول :

ما سمعنا كلماً غير ثمانٍ ... هي جمع وهي في الوزن فُعال

فئوام ودُرَاب وفُرَار ... وعُراق وعُرام ورُخال

وقد ذكر هذين البيتين في مادة (ظأر) وجعل في مكان دراب : وراب . وكلاهما غير موجود في العربية بصورة الجمع . والصواب رباب بباء في الأول .

ثم قال : وظؤار جمع ظئر و بساط ... جمع بسط هكذا فيما يقال انتهى

وقال الازهري ومثل تؤام غنم رباب ، وابل ظؤار . وهو من الجمع العزيز .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وعدّه ابو مسحل بين النوادر . ولذا ذكره في نوادره . وكذا قال ابن الاثير في كلامه عن العُراق اذ يعده من نوادر الجمع . ونقل الجوهري عن ابن السكيت لم يجئ شيء من الجمع على فعال الا احرف منها تؤام .... (وعدّ منها سبعةً) ثم قال ولا نظير لها .

وزاد الصاغاني على السبعة اربعة الفاظ فصار جماعها احد عشر . ثم جاء ابن خالويه ولم يزد عليها شيئاً ، الا ابن برّي أضاف عليها حرفين آخرين فصار الجملة اثني عشر ، وبعد هؤلاء الاعلام لم يذكر احد ما يزيد على هذا القدر من كلام العرب ، وظنوا انهم أحاطوا بجميع ما نطقوا به من مدوّن وغير مدوّن ، فاكتفى المتأخرون بنقل كلام الأولين وكتفوا أيديهم وآمنوا بما قيل لهم .

على اني نتبعتُ ما جاء على هذا الوزن فعثرت على اثنتين وثلاثين لفظة ، وانا لا ادعي الوقوف على كل ما ورد من هذا الباب . فدونكها مرتبة على حروف المعجم :

أُناس ، بُراء ، بساط ، تؤام ، ثنآء ، جُذاذ ، جُمال ، دُناء ، رُباب ، رُجال ، رُخال ، رُذال ، رُعاء ، سُحاح ، شُهاد ، طُوال ، ظُباء ، ظُماء ، ظُؤار ، عُراق ، عرام ، فرار ، قُماء ، قماش ، كُباب ، لُهاث ، مُلاء ، نُباء ، نُذال ، نُفاس ، نُكاث ، هُمال .

ولا بد هناك غير ما سردناه ، الا اننا أردنا ان نبين للقراء فساد قول سيبويه ومن ذهب مذهبه لكي لا يركنوا الى كل ما نطقوا به ليقيدوا به اصول اللغة المُبينة ، وهو ولي التحقيق .

« محقق »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net